

صلاح داود



بطل من رمل

إلى أحمد برهو  
من كل الأبواب يتسلل الضوء

خارج الصلاة  
كانت تأكلني  
ديدان البؤس

## خزان العتمة

أعادني صوتك  
إلى نصٍ أبيضٍ رغماً عني،  
أخرجني من حصني  
ألقي بي إلى الغيم،  
منذ زمنٍ بعيدٍ...  
لم أدخل مملكة الماء،  
كانت تأكلني ديدان البؤس،  
أنا الماءُ الرقيقُ  
أسيلُ على الحصى  
والحصى أنا..

منذ زمنٍ..  
لم أنثر وريقات الورد على رأسي،  
لم أدفن وجهي في وجه  
لم يشمّني أحد،  
غرزتُ حظي في كفي  
نشرتُهُ في الشمس

وارتميتُ ألْهَيْتُ،  
استنزلُ الجميعَ إلَّا إيَّي  
وبقيتُ رُوحِي خاويةً،  
وها أنا أعودُ مسرعاً  
إلى نصِّ أسودٍ رغماً عني  
أُقلِّ الحِصنَ على نفسي  
وأرمي المفتاح  
في شارعٍ مقفرٍ  
في مدينةٍ موحشةٍ  
وأَمْضِي...  
منذ زمن...  
لم أنتظرِ امرأةً على رصيفٍ،  
لم يرتجفِ قلبي كطفلٍ  
لم تومضَ عينيَّ كزمرّدةٍ،  
أنا الكوكبُ الرمليُّ  
تذروني الرِّيحُ  
والرِّيحُ أنا،  
أعادني نواحكِ يا "خوشناف"  
إلى موتاي..  
إلى أحيائي الذين

يُضرمون الليل حولي ويرحلون،

الليلُ باب..

والليلُ مفتاح..

وأنا حجرٌ يلتئمُ

في خزائن العنمة.

## مولاي

ها قد رفعتُ رايتي، أخرجُ إليكَ خروجَ  
مَنْ ليس لهم سوى أيدٍ مصلوبة على الرأس،  
بقلبٍ أغبر وروحٍ متعبة.. أنا أسيرك الآن،  
ولك أن تفعل ما تشاء، أخرجُ وخلفي  
أسرابُ التعب،  
وحوشُ الوقت التي لا تتركني  
إلا وأنا ساعة متأكلة  
دقيقة عرجاء تنتظر عكازاً من لهو،  
كنتُ أحبُّ اللهو يا مولاي..  
كنتُ جبلاً أخضر  
يرتمي الجميع بصدورهم على صخوري..  
لم يعرفوا أنهم كانوا يُلقون بجمال أرواحهم على صدري  
فتتوني..  
وتركوني خيمةً خاويةً على الطريق..  
أخرجُ إليكَ إذاً حفنةً من رملٍ  
غربتتي ربحك في الجهات  
وأنا ألهثُ كي أصل إليك.. أو إلي..  
هذه رايتي، لا أعرف لونها..

خذها مني.. مزقها إن شئتَ، اجعلها حبلاً  
لرقبةٍ تنبض ببطءٍ أو ليدٍ معروقةٍ  
أو ألقها مرساةً..  
علَّ ريحكَ

تقودني إلى الجنوب أو الشمال..  
قد ضيعتُ الجهاتُ وضيَّعتني حصاركَ  
و حصار مَنْ خَلَقْتَ مِنَ الكلابِ المسعورةِ،  
ينهشون وقتنا بالتحكم عن بُعدٍ،  
بالصورة المدمَّاة..

بالرجل الذي يوصي بأولاده على الإسفلت  
في بثِّ حيِّ لرجلٍ يموت..  
لماذا تغمض عينيكَ عنهم،  
قد أمهلتهم كثيراً وأنت تتربِّص بي..  
سبعة أشهرٍ وأيامٍ وجبالٍ  
وأوديةٍ وأوديةٍ وسبع زجاجاتٍ  
وأنا أغوص في رمالكَ،  
أدفعُ خلائقكَ عن صدري،  
ضمَّني إليكَ يا إلهي.. لمرةٍ واحدةٍ  
ثم اقدف بي إلى جهنم التي وعدتني،  
قبِّلني مرةً واحدةً،

لكن لا تدفن رأسي في الماء  
وتخرجه كل يوم،  
أحرق الأشرار مرة،  
فقد أحرقوا كل الورود في صدورنا،  
ضع وردة في شعري، وهددني كي أنام..  
سأغررُ بإبليس وأسلمهُ إليك،  
لكن ارفع هذه الجبال السوداء عن قلبي  
سامرني قليلاً..  
عشرون عاماً لم أنم كما أشتهي،  
وها أنا أخرجُ إليك معصوبَ الروحِ  
ألقي برأيتي وقلمي.. وبكل شياطيني..  
ولك أن تفعلَ ما تريد.. وأنتَ تستطيع،  
لكن لمرةٍ واحدةٍ قبل أن تتركني  
أو أترككَ اسمعني..  
إلهي.. يا إلهي..  
قد صار العالمُ موحشاً وثقيلاً،  
فانثرنا على كواكبٍ أخرى،  
أو حطّمَ هذه الكلاب المسعورة،  
أو دعنا نعيش بسلام..

## ألوان

سَبَّحَ بالأبيض والأسود..  
بالأزرق، بالأصفر الملتاع.. ثم قال:  
أبيضُ الروح يرتاحُ على صدر الأماسي،  
كانت بيضاء..  
رمادي العينين ينزاح نحو وجدٍ مضى،  
والوجدُ تيه..  
يدفع خريفاً لا بد آتٍ، هو فيه..  
أخضر القلب واليباس موجة عالية،  
أزرق الخيال، غاصت سفنه،  
والأعشاب مشنقة،  
أحمر الرأس كتمثال هوى، والرأس غي..  
صار الأحمر شتيمة، والأحمر قبلة..  
وقميصاً في التراب ينام،  
أصفر متداعٍ، والأفق رائقٌ على نفسه  
ينتظر الجحافل الموعودة..  
برتقالي.. أحبّ اللهو والأناشيد العظيمة،  
كان صغيراً.. كان صغيراً،  
بنفسجيّ حزينٍ مائلٌ أيلٌ للذبول الخفي،

والكفُ تسترق ما في الوردة،  
بنيّ لا يعرف رائحة الأرض التي يقف عليها  
لكن الأقدام تكمل مهمتها،  
ورديّ يستند إلى خجلٍ متّصلٍ  
لا تسعفه النظرةُ ولا الكلامُ،  
وردُّ للذين أحببتهم ، وأحبهم  
وردُّ عليكم وعلى الذين سألهم،  
رميناهُ في زوايا الصالات،  
صار بليداً.. أبله مثلي  
أنا ابن الزوايا والبيوت النظيفة،  
ابن هذا الكوكبِ الأزرق  
ماذا تركتُ من ألواني  
تضائل طيفي حتى سقطتُ نقطةً بلا لون،  
لم أعد أذكرُ لون عيني حبيبي  
سُكّرَ خديها.. لونَ جسدها  
صار العالمُ خرقةً للتنظيف ،  
كان رصيفنا الرمادي المغبر  
يتراقص بالألوان عندما كنتُ أطوّقكِ  
أشمُ ألوانكِ  
وسور الحديقة يشاركننا التواطؤ اللذيذ،

الأرصفتُ ملونةُ الآن  
لكنني أنفضُ الغبارُ عن روعي،  
أحاولُ أن أفكِّكَ ألواني المتقاطعة ..  
ما الذي يحصل ..  
بيت .. شارع .. مدينةُ بأكملها  
بلا لون .. بلا رائحة .. بلا نساء  
يبتلعني العماءُ، هل أُصبتُ بالبواءِ أيضاً،  
مَنْ يصحُّ لي تقوب روعي  
كي أرى ما أُحب .. ومَنْ أُحب،  
مَنْ يضمنُ أنني لن أصير مثل حبةٍ اشتَهت  
أن تصبح حفنة رملٍ .. فابتلعها الصحراءُ،  
آه .. أعيدوا لي ألواني .. أعيدوها  
قبل أن أضرب أبيضَ رأسي  
بأسود الجدران .. وأصيح  
يا وردي القلب واليد واللسان  
لك الأَخضرُ والأزرقُ،  
وللعالم ما يشاء،  
قبل أن تجفَّ كنقطة صفراء  
على لوحٍ أسود  
حينها لا شيء

والأبيض ختام ..

## فيلم عاطفي

لكن الصحراء كانت تُلْقُنَا وراء الباب

## أصابع على الباب

قد يحدث هذا غداً..  
أو بعد مئة عام،  
سيحملني عكازي أو أحملهُ  
سأطرقُ بابكِ بهدوءٍ،  
أو قد أخلعهُ من مكانه  
سأتفقدُ أصابعكِ عليه  
أو أصابعي،  
حين كنا نمسكُ به معاً  
نصف مفتوحٍ  
ويدي تطوّقكِ  
قبلةً واحدة لم تكن تكفي  
كي يتمدد العالم و تستريحني،  
سقفٌ واحدٌ لم يكن يكفي  
كي نحلم بالماء  
لكن دموعكِ استلقت  
على ( الكيمون الكحلي)،  
ما كنت غيمةً  
و لا كنتُ المطرُ

لكن الصحراء كانت تُلْفَنُ  
وراء الباب  
والجدار الطيب  
يحمي ظهرنا  
ونحن نلهث جالسَيْن،  
شعركِ مازال على كنفِي،  
اليَدُ البيضاءُ.. كما تركتها  
صوتكِ المتقطع  
نشيدٌ طويلٌ طويلٌ  
أيتها المرأة التي  
أحبُّ جسور العالم لأجلها،  
خمسة عشر عاماً  
ووجهكِ الأَسْرُ  
يدقُّ مسماراً في روعي كل مساء،  
سأتي هكذا غداً  
أو بعد مئة عام،  
لنحكي.. ونحكي  
لكنني سأموتُ  
إن لم تفتحي  
أو لم أجد أصابعكِ

على الباب..

## بحر

هو الرجل الموعلُ في وحشته،  
يسند كرسيه الوفي  
بظهره العاري،  
وهكذا فعلت المسافرةُ  
حين تركت الرجل الوحيدَ وحيداً  
يقضمُ أطافرهُ وروحهُ،  
يغمض عيناً ويفتح نافذةً  
على امرأةٍ بهيةٍ  
تصنعُ لهذا الكون  
رائحةَ الليمون  
وصمتاً من عشب،  
كانت تلقي الضجر من النافذة،  
حيث لا شيء سوى هذا الأفق المفتوح  
على سماءٍ مغلقةٍ،  
والطريقُ طويلٌ طويلٌ  
وأنا حزينٌ مثلكِ  
أيتها المرأة التي  
تنهش الحقول اليابسةَ

لكن البحر لا يزحف  
إلاّ على كرسيّ متحركٍ  
متعباً وقصياً مثلي ومثلك..  
تماماً..

## عطر

...

.. كأنني لن أصل  
تلاحقني البراري  
وما تبقى منك،  
النحل الأليفُ  
يترك يأسه على كنفِي  
ويميضي ..  
كأنه لن يصل ..  
يا مليكتنا ..  
كم سماءَ أفلةً  
كي نصلكِ ..  
دون أن نموتَ  
دون أن نسقطَ  
مؤرقين بعطركِ ..  
وكأننا لم نعش ...

## الحاوي

لم يعد ممكناً  
تأجيل الشتاء  
ولا النار التي سنشعلها غداً،  
سأتركُ لكِ الكثير  
من حطب أيامي  
كي يكون الاشتعال عظيماً،  
لأنقاً بهذا البرد السحري  
ومناسباً لسترة روحنا الرقيقة،  
لم يعد ممكناً الوقوف برجلٍ واحدة  
على الأرجوحة،  
فالحبال لا تحتمل أي خطأ صغير،  
سترين النار غداً  
تخرج من بين أصابعي،  
وهاهي تتراقص على وجهكِ الوردية  
تخبرني بنبأ عظيم،  
غداً سيسقط (الملوّحُ)  
شهيد السيرة الذاتية

لما تحت قميصكِ القاني  
وتتورثكِ (الشيك) ..  
سيضرب جبهته بكفه الماجن  
ويدوخ .. يدوخ  
لم يعد ممكناً مغازلة الورق  
دون الثمر،  
غداً ستشهد عليكِ  
أصابعكِ الساحنة  
جلدكِ المتأهب  
صوتكِ الشهي في الهاتف  
صدركِ العصفور،  
وسنعرف أن لعبة الانشطار الذكي  
قد استهوتنا،  
وأن الأرصفة التي تقلبينها  
رأساً على عقب  
والرقاب التي تتلوى باتجاهكِ  
كم هي مغلوبة على أمرها  
أمام هذا الطغيان اللذيذ  
الذي يجرف كل شيء،  
وستدركين أن التغني بالقمر

لا يمنعنا  
من قضمه أحياناً،  
وأن لقمي مهماتٍ جليلةٍ أخرى  
غير الكلام ..  
غداً سأقشّرُ لوزكِ الحلو،  
وستقضمين شفتيَّ كأرنبٍ صغير  
وسيشتهيكَ العشب،  
لم يعد ممكناً إلا  
أن نشعل  
كما يليق بهذا الصقيع ..

## وردة

أيتها المرأة الطيبة

وردتك في الكتاب لم تجف..

ها هي بعد سنوات

مستلقية بهدوء

تستحم بحبر الكلام،

الكلام الذي لن يشيخ

ما دامت الورود كانت

شاهداً على عصرنا..

## فيلم واقعي

لك رائحة البؤس والهزيمة

## سخرية صغيرة

(لكَ رائحةُ اليُوسِ والهزيمة)

ويسخرون..

ولكن مَنْ قال

أنَّ للأشياء الأخرى

رائحةً واخزةً

تصلُ للآخرين أكثر

من هذه الرائحة..!؟

## حشود من شمع

يحدث فجأة وأنتَ  
في الشارع  
في الزحام،  
أن تجدَ نفسكَ  
تشبه الرجل المتصلّب  
في واجهة المحل  
بشمعه..  
بعينه الزجاجيتين  
هكذا أجدُ نفسي  
غريباً  
بلا أمٍ  
بلا عائلة  
على قارعة الحياة  
ذرةً بلهاء  
ضمن حشدٍ أبله،  
هكذا أجدني صقيلاً وأبيض  
كملح الغياب.. أيها الحمقى

أبعدوا أعود ثقابكم  
ها أنا أذوب..

## عاش أخيراً

كل يوم..  
في الطريق إلى الخبز  
كان يموت ..  
أمام "الحلويات الفرنسية"  
كان يموت ..  
صباح الخير أيها العالم..  
ابتسم بأع الحليب،  
وحكَّ بأع اليانصيب  
لحيته الطويلة دائماً،  
لوح له بالأوراق وابتسم..  
دون أن يرد له التحية أحد،  
في الطريق إلى العمل  
كان يموت..  
العمل الذي حفظه  
وحفره على يديه وقلبه  
ووجهه المتغضن،  
لم يكن طاعناً في الحياة

كما يبدو لنا،  
لكن آلة الزمن لم ترد التحية  
في ذلك الصباح أيضاً..  
كان يموتُ إذاً كل يوم،  
حين يدخلُ البيت  
ويخرجُ من الحي  
حين يدخنُ .. يأكل ويسهر  
في الطريق إلى (العندليب)  
كان يموت..  
وفي الليل  
في أحلامه كان..  
صباح الخير أيها العالم التعسُّ  
أيها العالم الجميلُ،  
صباح الخير يا الله  
يا رب..  
لم يسمع أي صدى  
سوى أصوات السيارات المسرعة،  
في ذلك الصباح الباكر  
كان الرصيفُ خاوياً  
إلا من بعض

من يمارسون الرياضة الصباحية  
فَكَرَّ في اسمه طويلاً  
وأن حياته كانت  
خريفاً دائماً،  
سقطَ أمام باب (الحديقة العامة)  
مات أخيراً،  
يومها ذكرتُه العصافير  
والحارس كثيراً..  
وتداولوا في..  
موته المفاجئ ،  
مات كثيراً  
وعاش طويلاً..  
عاش أخيراً..

## أصدقاء المقهى

يدخنون أكثر  
يتكلمون أقل  
يشردون أكثر  
يضحكون أقل  
هذا هو حالهم بعد سنوات،  
أصدقائي في المقهى  
الذين ينسون كل الهزائم  
ويتذكرون انتصاراتهم  
في الشطرنج،  
يشربون أكثر  
يسكرون أقل  
لا يمارسون الجنس أكثر  
لكن يحبون أقل،  
بعد عدة آلاف من فناجين القهوة  
وأيامٍ بلا رائحة،  
أصدقائي في المقهى  
يصبحون كراسي أكثر

نوافذ أقل..

## بربك

ما الذي يبقى من تعاليمه  
حين تفقدني..  
وهل سيكون الرب سعيداً  
إن أنت قتلتني  
لأجله..؟

## هذيان

الساعة العاشرة.. تدور..  
لا أنا من يدور،  
الأرضُ صغيرةٌ.. إنها تدور،  
لا.. أنا من دوّختني الأرض  
المدينة تضيق علي  
الكلامُ مخيفٌ  
والظلامُ أيضاً،  
روحي تتلوّى كأفعى تموتُ  
سيقتلني سُمي  
في أرضٍ غريبة  
يومٌ جديدٌ.. ملحٌ أقل  
ليلٌ قديمٌ.. كرسيٌّ بليد  
عينٌ على الطفل وأخرى على الجدار،  
رحل الجميع،  
حبيباتي اللواتي خدعتهن بنفس المقدار  
وأحببتهن بنفس الغباء،  
أصدقائي الذين فضلوا القطارات

والنساء السريعات والبكاء قرب الحانات،  
أحبهم.. رحلوا جميعاً وأنا أدور حول القلعة  
أكاد أسقطُ إلى السفح..

## دون جوان

— (.. رياضتي الوحيدة  
هي أن أغمض عينيَّ  
أن أتذكَّر  
بمكرٍ  
وبتلذذٍ شديدٍ  
كل الحياة الصاخبة التي عشتها  
وكل النساء اللاتي التهمتهنَّ  
عبر تاريخي الطويل  
المليء بالفتوحات..)  
هكذا كان يقول الرجل لنفسه  
بعد أن طردته كل النساء  
وأُحيل إلى المعاش..

## فيلم عائلي

حين تعودين سابقى هكذا

## الجسر

أنا غوايةٌ تمشي على الأرض  
مَنْ يحطم خطوي  
مَنْ يكسر أجنحتي و يغويني؟  
لاهباً ومُستدرجاً  
إلى نهايتي جئتُ،  
يسرق الضوء ناره مني  
ويختبئ خلفي،  
يهرب اليباس مني  
أنا الأخضر المنسي  
ألمُ المطر والسرو  
و أصنعُ رائحتي،  
هكذا كنتُ

قالت أمي... كان أوان اللوز الأخضر  
وبعد أن وضعتُ مائدةً جدك  
كان المؤذنٌ يطلق آهاته ظهراً،  
حينها أطلقتكَ للتيه والأشجار  
لكن نيرانِي التاريخية  
تلفُ سرّتي وتلقيها في الصيف  
وليس في نيسان،

حتى الغريب على مائدة جدي  
كان يسأل ما الذي يحصل؟  
ألم تكن تلك المرأة هنا  
قبل قليل..  
سريعاً سريعاً  
تلقفتني الغرفة الباردة  
والرطوبة الأبدية،  
استنكرت الجارات استراحة أُمي  
من أجل هذا الكائن الضئيل ،  
ورويداً رويداً  
تسلل الشتاء إلى روعي  
لا يتركني ولا أطرده،  
صنعَ مني طيفاً واسعاً  
من تجاعيد الروح،  
أي برد يفتك بك أيها الصغير؟  
هكذا بقيتُ متقلباً  
لم يغسلني المطر ولا أكلتُ العنب،  
.. أن تأتي أولاً  
فرأسك من غارٍ وشوكٍ و أهازيج،  
فأنت تاجُ أمك

وقرة أبيك  
وأن تأتي آخراً  
فالحريير لقدميك الذهبيتين،  
لكن القادم ضمن الحشد  
سيضيع و يسلك الطريق وحيداً،  
وتذكر أن الظهر  
لا يكسر إلا من الوسط،  
احترقتُ أجنحتي إذاً  
وتعثر خطوي  
لم يبق لي إلا أن أطم  
بحريقٍ يلتهمني،  
هكذا أغوتني السنين  
أنا المنذور جسراً  
لعبور الغافلين...

## قهوة

أيتها المرأة الطيبة..  
ثلاثة أيام  
وأنا لا أعرف كيف أصنع  
قهوتي بنفسي،  
ولا النهوض من السرير الفسيح  
دون أصابعك الماهرة،  
دون تظاهرتك الصباحية  
كيف احتملت لسنوات  
رجلاً يستيقظ بوجه مهترئ  
مثل معطف قديم؟  
لا يستطيع أن ينطق بصباح الخير  
إلا بعد ساعتين،  
لكن لا بأس  
هو وجهي الأخير  
قبل أن أضيع في الفجر،  
اشتقت لأغانيك الخفيفة  
لثرتك

لضحكتكِ العالية.. ،

حين تعودين

سأبقى هكذا

وسأحبكِ هكذا

أيتها المرأة الطيبة

كقهوة الصباح..

## لوحة

إلى آلان .. جوان .. ومحمد..

رسمَ محمد ورفاقه في كل دفاترهم  
كوخاً من خشب .. بقرميد أحمر  
دخان مدفأة.. ونهراً صغيراً  
شمساً تضحك خلف الجبال،  
شجرةً بالأخضر والبنّي  
وزهرةً وحيدة،  
رجلاً نحيلاً بذراعين إلى الأعلى،  
هل كانوا يستبقون الزمن ويعرفون  
أنّ ما رسموه في الحلم الأول  
سيصير هو .. هو  
حلمنا الأخير...

أم

الشجرة تطرد عصافيرها

الأم أيضاً ..

الشجرة تلمُّهم ..

.. مرةً أخرى

الأم..

لا تفعل ذلك دائماً..

## أب

في مملكته..  
الطاووسُ يمشي وحيداً  
معجباً بريشه،  
الأب يفعل ذلك أيضاً  
الأول يلمُّ ألوانه وينام  
والثاني يفرد ظلاله  
على المملكة ..  
ولا يترك أحداً ينام..

## الجميع

الأباء يأكلون العنب  
ويشربونه..  
الأبناء يشربونه فقط  
والجميع يتقاذفون الحصرم  
في النهاية  
ويذرفون الدموع حامضةً  
وحارقةً  
في صيفٍ ملتهبٍ..

## مشفى السلام

المدينة تنام إذًا..  
وها هي أخرى تستيقظ  
من تحت أنقاض النهار،  
هواءٌ ثقيلٌ يسحب الستائر  
عن الرجل المتكئ  
على أعمدة الليل،  
يرقب سحب الدخان  
التي ينفثها عبر النافذة  
النافذة الواسعة  
الكئيبة في "مشفى السلام"،  
حيث الرجل الذي يشيخ سريعاً  
في ليلةٍ كاملة...  
في ساعةٍ واحدةٍ  
والمرأة النحيلة التي  
يبتلعها المصعد كل حين،

كانت ترندي الأبيض  
لكنها لا تشبه الغيم...  
وأنتَ أيضاً لم تكن  
تشبه شيئاً أيها الرجل  
الواسع كالنافذة  
الضيق كالنافذة..!  
هكذا كنتَ إذاً ساهماً  
عن المريض الذي تحبه  
في الغرفة المجاورة  
وتحبُّ شريانه المتعب  
ورأيتَ قلبه على (المونيتور) صباحاً،  
يا إلهي كم كان ينتفض ببطئٍ  
لماذا أحسستَ أن قلبك  
قد يتوقف قبله  
وما الذي يعنيه كل ذلك الآن  
وأنتَ ترقبُ المدينة  
التي تحبها  
تختفي بيتاً بيتاً ..  
لتبقى وحيداً في نافذةٍ واسعة  
في مشفى باردٍ،

وأمامك مدينةٌ تنام و لا تنام  
تتعالى خلفك أصوات  
المرمضات العالية وهنّ يعددن الشاي  
ويطلقن النكات البذيئة،  
وحديقةٌ مهذبةٌ  
قُصّت رؤوس أشجارها  
بشكلٍ مضحك،  
هكذا كنتَ في تلك الليلة  
شارداً ومنكمشاً  
مثل قطٍ هرمٍ  
تحت شجرة جوزٍ كبيرة،  
وسماء سوداء  
تبتلع كل شيء  
إلا صوت قلبك  
الذي كان يعلو..  
.. ويعلو  
دون أن يسمعه أحد..

## رجاء

أيها الموت..  
لماذا تطل برأسك هكذا  
بوقاحة  
لماذا تذكرني بنفسك دائماً  
حين أكون ساهماً فيهم  
وهم يلعبون..!؟

## فيلم عنيف

عشرون عاماً وأنتَ تسمع  
الأكاذيب المبللة بالورد

## بطل من رمل

إلى رشاد الدروبي

هكذا إذاً  
أنتَ هَشٌّ وضعيفٌ  
مثل - زهرة الهواء الناعم -،  
هكذا تطير  
مع غبار الحياة وأوساخها  
لماذا لم تكن تعترف  
حتى الآن بأنك  
ضعيفٌ ومختصرٌ  
لدرجة الانحلال  
في أي عارضٍ تافه  
وهل لازلتَ مُصراً  
على أن الحياة (الجميلة) هذه  
جديرة بأن تعاش،  
وأن الأبطال يولدون كل يوم  
وأن أطفالك سيعيشون  
أفضل منك،  
ولكن إذا كان الأمر كذلك

أيها الأحمق  
لماذا أنتَ الآن  
ضعيفٌ وهشٌ  
كورقة كينا يابسة وتمداعية،  
كئيبٌ وتحب العزلة  
وتكفر بالحياة والأصدقاء  
والأبطال،  
ولماذا أصبح المتفائلون  
أعداءك،  
عشرون عاماً وأنتَ تسمع  
الأكاذيب المبلّلة بالورد  
والعصر القادم،  
عشرون عاماً والأبطال الخرافيون  
على الورق  
يأكلون أيامك  
ويتغوّطون في ليلك  
وها أنتَ  
بعد كل الأمجاد التي لم تأتِ  
تقف روحك على قدمٍ واحدة  
وهي تتفتت شيئاً فشيئاً ...

ها هي حياتك على المحك،  
تقفُ على حبة (زولو)  
وأنت تتضاءل وتتقرضُ  
مثل قبائل الزولو،  
لكن لا بأس  
فقدمْ واحدةً عرجاء  
تكفي كي تصل الجدار  
وتسند ظهرك المهدود،  
وستفعل ما يفعله الرجل  
الذي لا يحمي ظهره  
سوى الجدار،  
ولكن دعني أجملُّه لك  
وأعدُّ لك مزاياه  
كما فعل الآخرون  
طيلة عمرك،  
وتذكّر أن الأبطال  
يولدون كل يوم  
وأن .. وأن  
إلى آخر هذه الأسطوانة المشروخة،  
أيها الأحمقُ

أيها المطعون في شفافيته  
أيها المصاب بهستيريا الحب،  
كل سلاملك تكسرت  
وأنتَ متهمٌ بأنك تقودها بالعرض،  
كنتُ أحبك دائماً  
وأصلي لأجلك دائماً،  
لكن من لم يبق لديه  
غير هذا الجدار الخرب  
وهذه النظرة الحزينة البلهاء،  
يؤسفني أن أقول له  
إن كان ظهرك للجدار  
وكل الغباء والهزائم تحاصرك،  
فإما أن تتخشب وتُعلقَ  
لوحةً على الجدار،  
أو تستعمل ما بقي لديك  
من أجنحة  
وتحاول أن تطير،  
وأرجو أن لا تكون هذه المرة  
أجنتك من شمع..

## في الغابة

مثل حيوانٍ صغيرٍ ضائعٍ

جائعٍ

في الغابة..

تفرُّ الحياة من بين أصابعكَ

أيها الرجل الصغير

الوحيد في الغابة

التي صنعَتْها

وصنعوها من أجلكَ

كي تفرَّ منها

إلى الجحيم..

## فيلم رومانس

نقطةً نقطة  
كنتِ تتسربين  
أو تسقطين..  
من يدي اليسرى،  
لم يكن النصل حاداً كفاية  
كي تتدفقي دفعةً واحدة،  
حدث ذلك كي تزيد  
جرعة الرعب أكثر  
وأن يأخذ التوحّد  
مع التراجيديا  
أقصى مداه،  
هكذا فكرتُ حينها  
وأنا العشريني  
المتأججُ بالأفلام  
العربية والهندية،  
لكن من سوء الحظ

أو حُسنه  
أن الشفرة الصدئة  
لم تحفر في الجلد الطري  
أكثر من ممرٍ قصير،  
كان كافياً  
كي أسقط مغشياً عليّ  
وأمنعك من التسرب نهائياً  
من جسدي،  
والآن بعد عشرين عاماً  
أنظرُ إلى الممر السري  
في ساعدي الأيسر  
لأجد ندبةً طويلةً  
على شكل عنق،  
ودائرةً صغيرةً سوداء  
على شكل فم،  
حبيبتني ..  
أشكر الله

لأن النصل لم يكن حاداً كفاية،  
ولأن ذلك أبقاك في طرفي الأيسر  
الأيسر المعطوب دائماً

أبفأك في جسدي  
إلى الأبد..

## النهاية

من حَقَّكَ أَنْ تَضَعِ النِّهَايَةَ  
التي تحب،  
أَنْ تَضَعِ حَدًّا لِحَيَاتِكَ  
ولموتنا..  
رِصَاصَةً وَاحِدَةً تَكْفِي  
لنغوص في السر،  
ما السر في أَنْ يَحْدَقَ  
نَبِيلٌ مِثْلَكَ فِي الْفِرَاقِ،  
أَنْ يَتْرِكَ أُمَّهُ دُونَ وَدَاعِ  
أَنْ يُشْهَرَ صَمْتُهُ فِي الْوَجْهِ  
مَذِيلاً بِالْأَسَى،  
لَا نَعْرِفُ مِنْكَ  
سِوَى صُورَتِكَ عَلَى الْجِدَارِ  
وَلطالما وأنا طفل  
استغرقتُ في عينيك،  
أية وداعة تلك

هذه الابتسامة الغامضة  
كيف رسمتها على وجهك المتعب،  
أيها المطرود  
من رحمة الله،  
— إنه الحب، قالت النساء،  
— كان ذو كبرياء، قال الرجال  
ومن لا يعرفونك،  
وحدي أعرف  
أن حبة توت سقطت  
من شجرة العائلة،  
كانت الأشهى والأنضج،  
كان من حقك أيها العزيز  
أن تفجّر رأسك  
لأنك ما أردت أن تفعل  
ذلك بالآخرين،  
ما همّ أن أراك  
قد اκτηلت الآن،  
وجهك الأسر  
على الجدار  
يبدو أكثر جمالاً ،

الجدار نفسه الذي  
وجدتَ نفسكَ أمامه  
في تلك اللحظة،  
الجدار نفسه الذي أجدُ نفسي  
أمامه الآن..  
كنتُ أحبُّ أن أعلِّقَ  
صورتِي بجانبك دائماً،  
كانوا يخافون من هذه (الشيطنة)،  
كنتُ أهدِّقُ فيكَ  
في ليالي الصيف وأنام،  
صورتِي بجانبك الآن ،  
ليست بالأبيض والأسود  
وبدون ابتسامة غامضة  
لا أشبهكَ في شيء  
ولا يجمعنا سوى الجدار  
لكن انظر ها هي  
حبة توتٍ أخرى  
تسقط الآن ..  
الآن ..  
الآن ..

## فيلم السهرة

إلى س..  
حياتي كلها أمامك .. ادخلي

سرابٌ يلتفتُ على سراب

## عطر الملكة

كيف لا تهتز الأرض  
تحت قدميكِ  
كما اهتزت روحي  
حين مررتِ ذلك اليوم؟!  
ها هي بقايا عينيكِ  
تتسحب ببطءٍ على الزجاج،  
الزجاج المسكين الذي  
وقف مشدوهاً  
حين اقتحمتُ نظراتكِ المكان  
لم يفاجئني عطركِ  
فامرأة مثلكِ  
تركض العطور إليها  
كي تنتحر على رقبتها  
أو على ما تيسر من جسدها الغامض  
كالغابات..،  
وأعرف أن الفراشات  
لن تترككِ دون

أن تحترق بين يديك  
حتى القلم ارتبك في حضرتك  
واكتفى بالصمت.  
يا مليكة  
لا ينقصك التاج و الصولجان  
حين تمشين في هذا الشارع  
أي رصيف سيحتمل ما تفعليه به  
كل يوم..؟  
حتى الشجرة انحنى  
كي تلامس شعرك،  
ماذا كان سيفعل (تشايكوفسكي)  
لو رآك تتهادين مثل  
زنبقة بيضاء،  
بكل هذا الجلال والصخب  
والجبروت الأنثوي،  
الملائكة و الجحيمُ  
الشرق والغربُ  
كل هؤلاء كانوا في عينيك  
حين أضرمت السهول اليايسة  
في صدري.. ورحلت

مهلاً أيتها السيدة الآسرة  
ثمة ما يشبه الطوفان  
يجتاحني مع الشجرِ والأعمدة والأرصفة  
حين تبدأ خطواتك بالاقتراب،  
هو قدرِي إذاً  
أن لا أنجو  
من هذه العيون،  
كوني كما أنتِ  
فالشمس لن تضحك  
إلا لامرأةٍ مثلكِ،  
لك الضوءُ  
والليلُ لنا  
والنارُ التي ستحرق  
هذا الكلام..

## متاريس الصمت ، مسامير الكلام

مدينة كاملةً ترحلُ...  
وأنا أقف مكاني  
أمسكُ الزمن من عنقه  
ويمسكني من حنجرتي  
كي لا أصرخ  
يا الله.. اشتقت إليك،  
ها أنا منذ ساعات  
أنتظرُ أن تلفحني ريحك  
لا أعرفُ لماذا أتخيل  
أنك ستخرجين من بين أصابعي  
أو من خلف شجرةٍ  
أو من السماء،  
أدمنتُ إحراق الوقت في انتظارك  
يا امرأةً من مرمرٍ  
ماذا أفعلُ كي لا أخدش الهواء  
الذي يحيط بك

هل أغلّفك بماءٍ من روعي؟  
يا امرأةً من نرجسٍ و حزن  
سأفترض أن اسمك يشبهك  
لكن لن أجد اسماً يقترب  
من مجد حضورك الدافئ  
تذهب الأسماء و تبقى العيون،  
أمس حين كان صوتك يذوبُ  
وتكاد روحك تقفزُ إليَّ  
أدركتُ أنني "بطلٌ من رملٍ" فعلاً  
وأنني سرابٌ يلتفُ على سرابٍ،  
أنت لا تعرفين  
أن غيابك يزيد الملح في فمي  
و يرميني سمكةً ميتةً  
أو قارباً خشبياً على مياهك،  
وأنت لا تعرفين  
أن رأسي يشتعلُ بك دائماً  
وتتطاير صورتك حولي كالنحل  
وتصنعُ لي عسلاً في المساء،  
هكذا إذاً تكبر بحيرة الانتظار  
ويُغرقني الكلامُ المؤجّلُ،

لكن هناك على هذا الكوكب  
من يبتلع مسامير الصمت  
كي تبقى ثابتة و مضيئة  
لكنه يحلم يوماً أن يدفن وجهه في صدرك  
ويشم رائحتك المجنونة  
أن يضمك لمرة واحدة .. بعدها  
فليذهب هذا العالم  
إلى الجحيم ..

## أيام ساخنة

عائبتُ اللهُ في سري كثيراً  
لأنه أخفاك عني  
كل هذا العمر الذي مضى..

\*\*\*

كنتُ أحبُّ الخميس  
أقذفُ بحقيبتني  
أركلُ جدران المدرسةِ  
وأمدُّ لساني للوحتها السوداء،  
كنتُ أعرفُ أن أمامي  
يوماً كاملاً من اللعب  
دون جدرانِ  
دون صراخ المعلمين،  
وبقيتُ هكذا دائماً  
أحبُّ هذا اليوم السحري  
وأُسرفُ في اللهو  
وإصطياد الفرح في الزوايا،  
اليوم خميس..

لكنني حزينٌ يا حبيبتِي  
لأنني لن أراكِ غداً..

## جنون

حين طوّقتُ خصرِكِ المجنون  
وقطفتُ الكرز والليل من فمكِ  
عرفتُ عندها  
أن الكرة الأرضية  
لن تدور بعد الآن..

## وشاح

حتى الخيط الصغير الذي  
كان ملتصقاً بينطالكِ،  
أبى أن يترككِ هكذا  
لماذا رميته على الأرض؟  
لكن لا بأس  
سأحتفظُ به فقد يلتقي برفاقه يوماً  
ويصير وشاحاً  
لرقتكِ المذهلة..

## رغبة

حين قلتِ (مشتاقاً)  
غمرني مطرٌ كثيرٌ كثيرٌ..  
كادت رُوحِي تغرقُ  
في بحرٍ من الغاردينيا،  
تمنيتُ أن أسبح عبر الأسلاك  
أن أحملكِ إلى أبعد غايةٍ  
في هذا العالمِ  
أن أقبلكِ طويلاً طويلاً  
وأنام..

## طيور الالهة

أن لا أسمع صوتك  
هذا يعني أن شمساً جديدةً  
أطلت على آسيا و اختفت،  
وأنني وحيدٌ و حزينٌ  
في هذه القارةِ  
وأن روعي لم تغتسل بصوتك اليوم،  
منذ يومين و أنا أقفُ  
كشجرةِ هرمةِ  
بدأ قلبي بالانحناءِ  
تسمرتُ عينيَّ على أول الشارع الذي  
يُفضي إلى موتي و اشتعالي،  
أقفُ هكذا عارياً  
إلا من ظلي  
أساومهُ منتصف النهار  
أفترق عنه وأرقب الزمن اللين،  
الوقتُ سلحفاةً

والوقتُ نيزكُ  
يشطرنني إلى ضفتين  
فتىً يلعبُ الريحَ  
يقذفُ قلبه إلى القمر،  
ورجلاً مقوساً كإشارة استفهامٍ  
يقف على نقطةٍ من حنين،  
أدورُ.. أدور  
أحملُ حزناً بحجمِ مجرّة،  
نسيتُ أصابعي في الطفولة  
تلبّستني الكآبةُ  
تكسّرُ ظلّي وها أنا أسقطُ  
في فح الانتظارِ القاتلِ  
في المنطقة العازلة  
بين الحياة و الحياة  
بين الحياة و الموت  
بين الموت و الموت  
أنا رجَعُ الندى  
منَ لا طاقة له بك،  
روحي ريحٌ تصفرُ في القصب  
صمتي غابةٌ صفصافٍ

تنوحُ في غيابك،  
هو الجنون الذي يشعل الأعشاب و السهول  
في رأسي ويتركني  
رماداً على شكل عاشقٍ،  
ضعوا روعي في زجاجةٍ إذاً  
و انثروها أمام بيتها،  
اصنعوا من أنفاسي فراشاتٍ  
تحرسها في النوم،  
أدورُ .. أدور  
النومُ أشواكُ  
والليلُ مساميرُ،  
هكذا إذاً يبدأ الفتى  
وهكذا ينتهي الرجل  
أنْ لا أسمع صوتكِ  
يعني أن أتيه على وجهي  
يجتاحني الصمت،  
أن أصير كهفاً للجنون  
تتقرني طيورُ اللفهةِ  
تسيل روعي نقطةً نقطةً  
وتسقطُ روكِ نقطةً نقطةً

تذوبُ عِينِكِ  
وَأنتِ ترقبِينِي  
أُطلقُ العَصافِيرَ من صَدْرِي  
باتجاهِ شرفَتِكِ العَالِيَةِ.

انتهى الديوان / الكتاب الإلكتروني، دون فهرست

## صدر للشاعر:

رجل يتوسد الماء ١٩٩٧

بئر المهزوم ٢٠٠٠

## هذا الكتاب الإلكتروني:

بطل من رمل، شعر

صلاح داود

حلب ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة

تنضيد ومتابعة فنية: سيد عجيجو

الغلاف: فوتوغراف صلاح داود

الطبعة الثانية الإلكترونية، موقع تيريز كوم.

حقوق الطبعة الثانية محفوظة، للشاعر وموقع تيريز.

۱۲.